خواطر في الفن

حول معرض القاهرة

﴿ تعريف الفن ﴾ خطر لي يوماً ان ابتكر تعريفاً للفن فطفقت اعصر فكري لعلي اوفق الى اكتناه ذلك السر الذي يغذي ارواحنا ونفوسنا ويشعرنا كلما تناولنا اثراً من آثار مطرب سائغ شهي. وكنت حين خطر لي هذا الخاطر على مقربة من جدول تنساب فيه من علٍ مياه عزفت الطبيعة على خريرها نغماً ساحراً شجيًّا — شغلني سماعهُ والتأمل فيهِ عن الفن وتعريف الفن فلما وجدتني مأخوذاً بهذا الخرير قلت في نفسي لعل هذا النغم ومصدرهُ فن آخر تتالى يسمو على فننا الذي هو ثمرة افكارنا وايدينا

ثم جعلت اسرح بخيالي بين الفن والخرير وتواردت عليَّ خواطر ثبت معها عندي انهما لغزان متجانسان ايهما يفسر الآخر

كنا نرى خرير المياه ونسمعهُ فانس بهِ . ولكن من منا يستطيع التعبير بحق عن الاثر الذي يخلفهُ هذا الخرير في النفس . كذلك الفن كلنا يراهُ ويسمعهُ فيطرب بهِ على وجه ما ولكن ليس فينا من يستطيع صوغهُ في كلمات اثرها في النفس كاثر الفن . واذن فهما متشابهان وحسبي ان رضيت يومئذٍ من تعريف الفن بهذا التشبيه بالخرير

اما الآن فموضوع تفكيري ادق واعسر إذ احاول تعريف الفن من خلال تلك الآثار الفنية التي ازدان بها معرض القاهرة هذا العام ١٩٢٥ ، واذ اميل الى تحبيب الفن الى نفوس الشباب ، واذ احاول ان احتاج مشاعرهم الى تقديره ونصرته واذ اتوخى ارضاء الحق والفن والفنانين جميعاً

***

للصور اذا نبغ او كاد شخصية تظهر بارزة في جميع نواحيهِ وعليها يكون الحكم الصحيح اذ هي مقياس ثقافتهِ الفنية — وهي في الغالب مرآة نفسهِ ثم هي عند اهل الفن الاثر الذي يعلن عن صاحبهِ ويدل عليهِ

فاذا نحن حللنا شخصيات فناننا ثم اثبتناها جنباً الى جنب واذا نحن حاولنا بعد ان نستشعر ما وراءها الينا انفسنا وكاننا بين رياض تتنقل فيها نستطلي في كل روضة اساليب جمالها الخاصة بها ونستروح الطيب العابق بأريج ازهارها المتباينة الاشكال والالوان

مقطف يونيو ١٩٢٥
امام الصفحة ٣٥

فاجتلاؤنا الجمال من مظاهر الطبيعة يشبهه تماماً او على قدر ما — امعاننا في الجمال المرسوم على لوحات المصورين والبادي في تماثيل المثالين . واذ كان ذلك كذلك فاليك شخصيات اساتذتنا المصورين ولنبدأ بذي الريشة الفائقة ، ذي الشخصية المحبوبة الاستاذ المغفور خليل راتب باشا (تركي)

سائل نفسك قبلاً لم تميل الى المعلم الذي يلقنها اقيم الدروس ولا يضن عليها بشيء وحتى هواجس نفسه ويقرب اليها البعيد في ابين اسلوب . سائلها تجبك انها بطبيعتها توافقه الى معرفة الحقائق الصريحة وانها جذلة حين يماط اللثام امامها عن المبهم وانها من اجل ذلك تحبه

فان اردت لذلك مثلاً فنظرة الى لوحات هـذا الاستاذ ، العميد السابق لكلية الفنون بالاستانة فهو يصور لك الحقائق صريحة في لوحاته جميعاً . يصور لك الطبيعة بحيث تشك وانت امامها ان الماء الذي تراهُ ليس ماء وان الارض والسماء ليستا حقيقة وان الاشباح التي بينهما صيغت على سطح

في لوحاته جمال قيم وثقافة سائغة بل فيها الغزير الذي تسيغهُ في طرب وتظفر به كجائعة او مستطلع او الذي يرضيك كناقد في حين يسترعي قلوب الناس جميعاً

اكبر ظني ان في الاستاذ ثلاث خلال هي التي جعلتهُ فذاً محبباً — تلك هي انهُ سليم الوجدان والذوق وانهُ ناقد مثقف وانهُ مع هذا رجل عواطف

وكأني به حين يريد ان يصور شيئاً يرفقهُ الوجدان الى حسن الاختيار فاذا تم لهُ هذا قادتهُ استاذيتهُ الى احتذاء الكمال فاذا ظفر بذلك ترك سيول عواطفه تجري في انحاء الصورة ... فاذا اراكها بعد ألفيت شخصيتهُ بارزة ومجهوداً ساقهُ الوجدان فضبطهُ العقل ثم زانهُ القلب

وكل اثر يكن فيهِ الذوق السليم والعقل الرصين والشعور الحي فهو لا محالة اثر خالدٌ باق مابقي الزمان . هذا هو عندي سر نبوغ الاستاذ وذاك اصل ارتياحنا حين نستعرض آثاره

***

ولنقصد بعدُ ذا الريشة الفياضة النشيطة والجريئة المثقفة الاستاذ احمد هدايت (تركي)

ان كنت بالفن مشغوفاً مفتوناً او ان كنت بنفسك تواقاً ابداً الى ان تستمرئ اللذة كامنة في الجمال او ان كنت بروحك وطبعك منجذباً نحو المثل الاعلى فانت لن تشفي منك هذا الظمأ والغليل ما لم تقف مزاتك امام لوحات احمد هدايت

لوحات صيغت من فتنة . من الوان كانها تناسق وانسجام من شخصية ترغمك في دعة ان تنجذب اليها حتى اذا دنوت منها طابت لناظريك ونفسك وحرت في امرك لا تدري اية صلة بينك و بين ما ترى جعلتك تؤخذ بذاك السحر المأثور وهذه الفتنة الجريئة

طبيعة قد انتقلت من الخلاء بسمائها وارضها وما بينهما في مجموعة قيمة امامك ، تستهويك وتسترعيك ، الا تراك في حاجة الى وحدة طويلة تسكن فيها اليها (الطبيعة) وهي تنتقل بك من واد الى بستان ومن قرية الى سوق ومن حرج الى طلل ، ومن ريف الى حاضرة ، او بعبارة ادل واخصر من سحر الى فتنة ومن جمال الى جمال

والعجيب ان تتوارد عليك كل هذه الرؤى وانت قابع في مكانك تستجلي بهاءها في تركيبها ومنظورها وظلها ونورها وانوانها — الوانها الشيقة الفنية

كم انا مرتاح الى الافاضة في ذكر لوحات هذا الفنان وكم انا سعيد حين ارافي منصفاً بحيث اقدره تقديراً يتناسب مع وفرة آثاره القيمة المنتشرة !

هذا الذي تنطلق الالوان من ريشته انشاداً تعطيك بحق صور ما يجول في خاطره ونفسه — وانها لتدلك حتماً وفي غير عوادة على سمو خياله وروائع فكره

هذا الذي بلغ بفنه وطول ممارسته درجة من الثقافة تستطيع معها ان تحصي عن بعد ، عدد الضربات التي تلقاها اية لوحة من ريشته ، وتستطيع تدرك حين يطلق الفنان لريشته كم تتوخى ، بوحي منه ، ان تودع في كل ضربة معنى من معاني الجمال مستقلاً ، وادهى من ذلك تستطيع ان تخرج من منظر واحد يرسمه (هدايت) مناظر عدة اخرى لو انك جزأت هذا المنظر قطعاً صغيرة

تلك الثقافة الفنية الجريئة التي لا يحوزها الا اساطين الفن قد وجدناها عند هدايت ، ووجدناها في اسلوب تعليمي بحيث يظهرك على اسرار الفن صريحة سهلة

هدايت قد شرفنا كثيراً هذا العام امام الفنانين الغربيين — فحيا لفنه العالي! وسقيا لريشته المتقنة الجريئة

***

اظنني قد رغبتك قليلاً او كثيراً في هدايت وانه ليلذ لي ان اقدم لك بعده استاذاً ذا ريشة قوية جبارة ، وشخصية هائلة صائلة ، وانك لتستطيع ان تستعذب الجمال في صوره كما استروحت الجمال عند هدايت . وانك لتأنس به في لوحاته انساً يرغمك على معانقته اذ لا ترى من آثاره كثرة تعدل آثار سابقيه

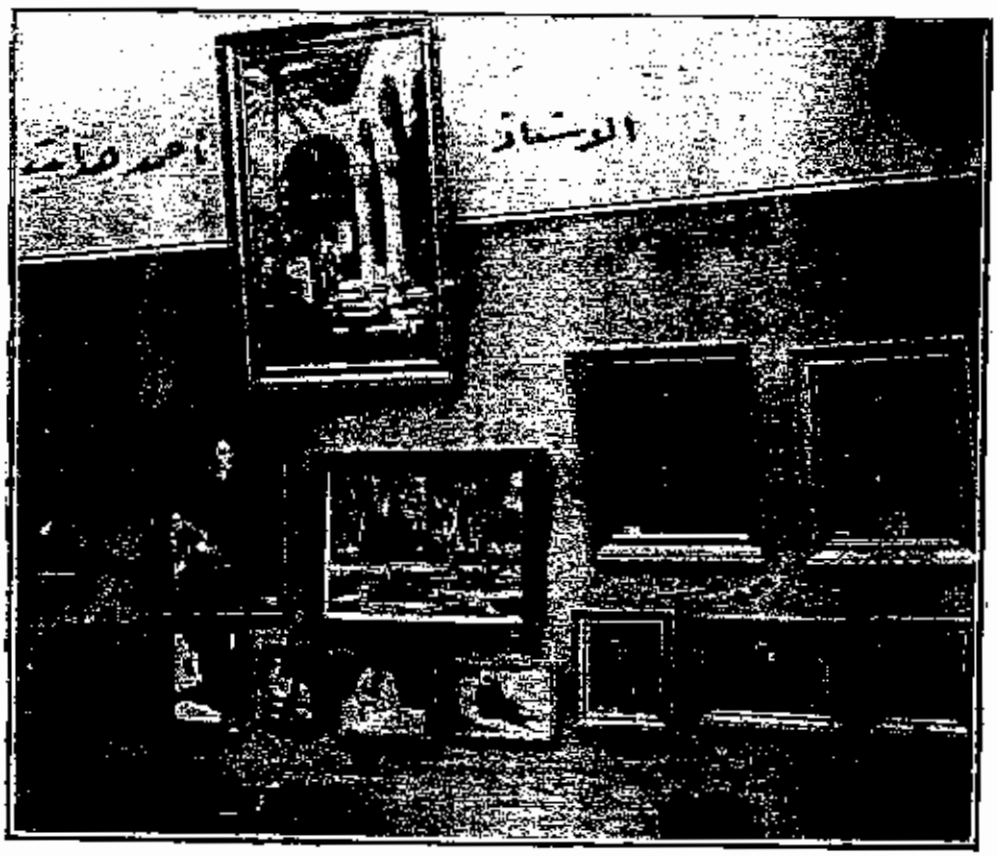

مقتطف يوليو ٩٢٥
تمام الصحة ٣٧

فلو انهُ سلك سبيلهُ في الاكثار او اقل قليلاً — اذن لا فاض علينا دوراً قيمة ولظهرنا نحن ممتازين في شوق اليهِ وحاجة ولادهشنا كثيراً باثارهِ تلك التي يرسل فيها نفسهُ على سجيتها ، ونفسهُ كريمة ابداً تبعث فيك لذةً وطرباً . ذلك هو الاستاذ الكبير محمد حسن

انظر الى صورة « زينب » الا تراها كانت منذ لحظة لعبة منهوكة القوى ! ثم الا تشعرك اساريرُ وجهها انها مطمئنة الى هذه الجلسة برتاحة ؟ انت لا شك شاعر بهذا قبل ان تلحظ اطراقة راسها على ساعدها فوق المسند

ثم انظر الى صورة عائشة « تالآنسة اكس » ترسم « امرأة » فحاملة البطيخ — الاتري قلبه الجوي يلعب بتقلبك لعباً فبينا يصور لك في الاولى عذوبة وخفة اذ به يريك في الثانية جلالاً وفي الثالثة سذاجة ثم يغمرك في الرابعة بغبطة

وليس بالامر الهين ان ترسم ريشة صور هذه الاحساسات كلها على لوحات مسطحة كلها مادة وليس بالامر البسيط ان يودع الوجه لقافة لولا روح تنقصهُ لتحركك ، فكم يعظم تقديرك للاستاذ لو علمت انهُ اتم بعض هذه اللوحات في محاولة واحدة

لقد اشهدنا بحق في لوحاته جميعاً ان شخصيتهُ قوية جبارة وان ريشتهُ هائلة صائلة على المعضلات الفنية فما احراهُ ان يفيض علينا بقدر وافر من الآثار يرضى بهِ الفن وتقدرهُ عليهِ !

***

اذا اردت ان يذهب عنك هذا الخشوع الذي احتواك امام لوحات الاستاذ اطائل « محمد حسن » وان اردت ان تنوع المرئيات فاتجه مني نحو ذي الريشة الوادعة والشخصية الهادئة الاستاذ محمود بك سعيد

وكنت اود ان اضيف صفة الحياء الى ريشتهِ وان ازيد نعت التواضع الى شخصيتهِ لولا انهُ حي يحرجهُ المديح — ومع ذلك تجدني مضطراً لان ارضي نفسي فاضيع صفة ثالثة في ريشتهِ ولوحاتهِ هي صفة الملائكية

الم ترَ صورة « الرسول — » بنقلها من وجدانه الى المعرض لتصبح لاعين النظارة « ملكاً مشاعاً » ثم اليس هو ملائكيًّا في كل تفكيرهِ وعملهِ ... الم تره كل عام يصور الرفيع والوضيع فاعلى صوره « القاضي فان دن بورن » عليهِ حيرة بادية خسفت رفعتهُ

وهدّمت كيانهُ . وكادت تطير بعقلهِ حيرة لا تعدد الاَّ حيرة الحب المضني — كل هذا تعمد الاستاذ ابرازه ليدلنا على مبلغ عمقه وفنه ومن تحت هذه الصورة يريك « نعيمة » وكأني بها على القاضي واجمة — ثم الى يسارها عبد اسود يلقي خلال نظراته معاني الاجلال الى معبودهِ

فاذا التفت يمنة ويسرة حول ذاك القاضي الحائر وجدت بهواً حقيراً تواضع الاستاذ فرسمهُ ليبارك بريشتهِ تلك الملائكية ثم ابصرت لعبة ابى الاَّ ان يزيد من قيمتها فرسمها ايضاً وانت من كل ما رأيت تستجلي — ثقافة هادئة متواضعة وشخصية ملائكية وادعة

***

ابق مكانك وتحول يميناً الى ذي الريشة الرقيقة المتأثرة الاستاذ محمد ناجي

رقت ريشة رقة طبعه كما تأثرت من سعة اطلاعهِ في الفن — ومن سياحاته الدورية العديدة ثم من صلاته الدائمة بكبار الفنانين في اوربا ومصر

فهو بهذا المصري الذي يتلقى اخبار الفن اولاً بأول ان ظهر جديد حاول ابرازهُ وان طرأ تطور دعا اليهِ حتى لقد تراهُ من فرط اخلاصهِ للفن وتشبعهِ بالفكرة الفنية يتناول بعض آثارهِ الماضية بالتغيير والتبديل حسبما يقتضيهِ التجدد واذن فريشتهُ رقيقة حقاً متأثرة حقاً . . . وانك لتستطيع ان تتبين ذلك من معروضاتهِ هذا العام فاكثرها جديد بل كلها اذا استثنينا « صورتي المولد »

قلت لك ان ريشتهُ رقيقة متأثرة وازيدك انها غنية فياضة فانك لتشهد لوحاتهِ مغمورة اشباحاً ولقد يصور اللوحة الصغيرة تحتوي على شخص واحد أو زمن واحد كما في « صورتي المولد » فيريك فيها الوانا غزيرة في انسجام ، مسترسلة في زهاء ، ترغمك على تقديرها والاعجاب بها

وليسمح لي الاستاذ ان افتن بتينك الصورتين فانا اميل الى الوانهما كثيراً وأنا اعشق بتلقي هذا النوع من آثارهِ اذ تتمثل فيهِ بحق روحهُ الجذابة — اذا كان لا يضنُّ ان يغمرنا فيهِ بأقصى ما يتطلبهُ هو ونحن من فيض الفن

ولشد ما أراهُ كلفاً بالكمال حين يتناول هذا النوع مستهاماً بالمثل الاعلى

انا مخلص للاستاذ حين اسوق اليهِ رأيي وبز يدني اخلاصاً لهُ واجلالاً ، ترحيبهُ بالرأي الصريح المخلص

مقتطف يونيو ١٩٢٥
امام الصفحة ٣٨

ولنستعرض بعد آثار الاستاذ الحائر ذي الريشة الطائعة المصور انتابه على الاهواني من يرغم ويشتهُ ان تصور في المنظر روحهُ وذوقهُ وفنهُ ثم لا تعصى لهُ امراً ، ومن ترغمهُ شخصيتهُ الفنية ان يغمر اللوحة اشباحاً تملأ جميع اجزائها ونواحيها وان يودع الاشباح جميع اصباغهِ بل قد لا تفيد تلك الاصباغ جميعاً فيغالي في مزجها ليصيغ منها لوناً جديداً تتمثل فيهِ شخصيتهُ

فاذا استطلعت لذلك سبباً ادركت انهُ محبٌّ لفنهِ ميال بطبعهِ الى ان يكون فذاً مبتكراً وميلهُ هذا يدعوهُ الى اجهاد نفسهِ الى الامعان الطويل المتواصل والامعان أو التفكير اذا استحوذا على نفس كبيرة كانا مدعاة للحيرة

وانك لترى الاستاذ في لوحاتهِ حائراً حقاً بل تشعر منها انهُ كان يود ان يزيدك شجا وبعض الوان أخرى لولا سبب ما منعهُ ، ومن يدري اذ قد يعود بعد انتهاء المعرض فيوسع لوحاتهِ اشباحاً واصباغاً يصل بها الى حيث يشفي غليله ويشبع نهمهُ الفني

كان شاعر العرب زهير بن ابي سلمى لا يعلن للناس قصائدهُ الاَّ بعد مراجعة ومشاورة وتثقيف مدة حول كامل — ومن ثم سميت قصائدهُ «بالحوليات» فهل بين زهير والاهواني صلة في توخي الدقة والاجادة ؟ ام ان روح الاول قد تقمصت في الثاني وكلاهما شاعر ؟

ننتقل الى ذي الريشة الشاعرة القانعة الاستاذ رجب عزت لوحاتهُ قليلة عداً بسيطة موضوعاً اذا استثنينا منها «غروب الشمس» وجدناها شيقة يسيغها الوجدان مرتاحاً مطمئناً فهي كالشعر السلس الرقيق تفهمهُ في يسر وتسيغهُ في غبطة وهي كالماء الزلال البسيط عنصراً ولوناً ولكن منهُ كل شيء حي وفي بهذا الوصف والتشبيه فن خالص

ولعل الاستاذ حين يعزم تصويراً لا يتكلف اختياراً بل يرسم حيث شاء لهُ الظرف الذي هو فيهِ — ولقد يكون امامهُ المنظر الذي لا يستهوي ولا يطمع فيهِ طامع بل لا يفكر مصور في ابرازهِ ... فاذا اهتزت في يدهِ ريشتهُ لم يحجم عن رسمهِ ثم لا يلبث ان يخرج لك منهُ آية فنية يرغمك على حبها حباً يلتوي معهُ حسبانك انها رسمت عرضاً

تلك خطتهُ في ابراز المنظر البسيط بارعاً فكم يكون حين يصور ما هو خلاب بطبيعتهِ ؟ لا غرو عندئذ انهُ يبلغ باثارهِ حداً الى الكمال اقرب

زي مصري جديد

وبعد فهل فكرت ايها القارئ الكريم في لباسنا الحالي وهل انا في حاجة لان اعلن لك انهُ لباس لا هو بالمصري ولا هو بالملائم لجونا المصري ؟ وهل تذكر تلك الضجة التي

حامت في العامين الماضيين حول الطربوش والقبعة ، أيهما انسب واجدى » ؟وهل ادلت حديث لاساتذة الافاضل الدكتور منصور فهمي و لاستاذ الشيخ احمد امين والاستاذ عبد الحميد العبادي والاستاذ الشيخ رضوان شافعي المتعافي حين كرمتهم جمعية جوائى عام سنة ١٩٣٠ . لتفكير في ابتكار زي جديد ثم تفرقو مضطرين لفساد الجو إذ ذاك ؟

وهلا رأيت صديقاً او مواطناً خلع الطربوش لا ليعود اليه ولكن ليستعيض عنه بقبعة تقيه حرارة الشمس لقائظة فنسي الطربوش والف القبعة

ليست كل هذه امور خطيرة تستدعي التفكير والتفكير الجدي في استبدال اللباس الحالي بلباس قومي يلائمنا . ثم ليست القومية وحدها كفيلة ان تدفعنا الى اختيار زي يلائم والقومية المصابة اول مظهر من مظاهر العزة واول اساس يبنى عليه صرح الاستقلال — والقومية اظهر ما تكون في اللباس خصوصاً ما على الرأس وطربوشنا هذا ليس مصرياً فضلاً عن انهُ تافهٌ ليس فيه خير كثير ولا قليل

وانا لمترقبون من صحافتنا وكتابنا الافاضل اهتماماً بالتصوير واهتماماً بتمحيص فكرة الزي القومي ولست بخاسرين شيئاً حين نهتم بها ولكننا سنكسب شيئاً — لباساً مصرياً صحياً نصون به قوميتنا في اهم مظاهرها

واخيراً لا تعتب عليّ ايها القارئ الكريم لو علمت ان هذه الصورة (فوق) من صنع ريشتي الضعيفة — انما اضطررت لذكر الفكرة اضطراراً لانها مادة من مواد الصحافة واشفق على رجال صحافتنا ان تفوتهم فائتة ينبغي لهم ان يتناولوها المصور شعبان زكي